أنيس المجلسين

﴿ الجزء الاول — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ١٠ شوال سنة ١٣١٨ ﴾

المرأة في القرن العشرين

اذا كان القرن التاسع عشر قد انفرد عن كل القرون الخوالي بما حدث فيه من ابداع واختراع وتم من احسان واتقان فلا شك ان ذلك لم يكن فيه انفراداً بشيء لم يكن في الذي تقدمه بل هو لدى الحقيقة بحسب تكمله لما مضى وتتمة لتأسيس ما انقضى او هو بالتالي يعد اظهاراً للتوهم وتكويناً للتصور لان القرن الثامن عشر قد اعجله الوقت عن تحقيق كل الاماني التي كانت تجول في صدور ابنائه فاودعها القرن الماضي فنممها كلها كما ان القرن الماضي لم يتسع مجاله لاظهار كل مكنوناته فهو قد تركها لهذا القرن الكفيل باذن الله بان يوضحها جميعها ويبديها بتمامها. ولكن الشأن الوحيد الذي انفرد به القرن التاسع عشر في اختراعه المحض وابداعه الصرف انما هو شأن المرأة

بالخصوص وانتقاله بها من حال الى حال انتقالاً لم يعهد في سالفات الاجيال فان المرأة كانت من قبل في اشد حالات التوحد والانفراد بعيدة كل البعد عن حدود الحرية والانطلاق حتى انها لم تكن بشيء من الجهة الانسانية المعنوية بل كانت انساناً طبيعياً محضاً يتغير كل شيء الا هي وتتبدل كل حالة الا حالتها فلما استهل القرن التاسع عشر ورسم فيه مارسم من حدود الحرية والتصرف نال المرأة من ذلك حظ كبير وجرت في ميدان الحرية شأواً بعيداً حتى لم ينصرم ذاك القرن الا وهي مع الرجل كانهما في هذا المعنى سواء

على ان تلك المزية التي انفرد بها القرن الماضي في اختراعه واتساع علومه لم تكن صادرة عن الرجال بانفرادهم وان كانت كل تلك المنافع قد خرجت من عقولهم وايديهم بل انها قد صدرت عن النساء ايضاً وان تكن جاءت منهن غير مباشرة وبيان ذلك ان الرجل لما باشر الابتداع والخروج عن الحدود القديمة في صدر القرن الماضي كانت حرية المرأة اول شيء اخترعه ثم جرى على اثرها ماجرى من الاختراعات وتم ماتم من اتساع العرفان وامتداد الاكتشافات فكان اختراع الرجل لحرية المرأة كانه اختراع للبخار مثلاً اذ كانت تسير به الباخرة والقطار فصارت تدار به آلة الغزل وترفع به ثقال الاحجار واشباه ذلك مما يرفع ويسير ويدار وعلى هذا القياس يصح لنا ان نقول ان كل مكان كانت فيه حرية المرأة كان عامراً بالعلم والعمل حافلاً بالزرع والضرع وكل مكان كان خلواً منها كان على عكس ذلك وهذه احوال الشرق والغرب وما بينهما من التباين اصدق شاهد على هذا القول

ولقد قالوا من قبل انه حيث يريد الرجل تكون المرأة يريدون بذلك

انها الضعيفة وهو القدير وانها الجاهلة وهو العليم فلما هذبوا المرأة وعلموها واطلقوها من قديم قيودها ثم رأوا ماكان لهم من النفع بسببها قالوا الآن يصح لنا ان نقول انه حيث تريد المرأة يكون الرجل. ذلك هو القول المأثور الآن ولكنه لايبطل القول القديم بل الان قد صارت المرأة شريكة للرجل شركة حقيقية من كل وجه ومعنى فهو اذا طاب منه العلم وكان عالماً فانما الفضل يكون لحذقه من جهة ولاعتبارها العلم واغرائها به من جهة واذا عيب عليه الجهل وكان جاهلاً فانما يكون ذلك لتقصيره وعدم احتقارها اياه. وكل مكان لاتكون المرأة مغرية فيه بالمجد والنباهة محتقرة للضعة والخمول فمحال ان يكون فيه رجال يحسن معهم العيش وتطيب بهم الحياة. اما مايقال عكس ذلك من جهة بعض النساء او مايكون من الضرر من بعض الحالات في كل النساء فما يجب ان لايعتبر في مقام البرهان والحقيقة لان هذه الدنيا الحاضرة قد دلتنا على انه حيث لاتكون نباهة للنساء فبعيد ان يلتمس من الرجال نباهة او يطلب منهم علاء

تلك هي الدرجة التي بلغتها المرأة وذاك هو التأثير الذي كان لها في القرن التاسع عشر وهو تأثير حسن النتيجة كيف وصفت مقدماته محمود العاقبة كيف كانت حالاته ولكن العالم قد وصل الآن الى القرن العشرين وهو يبحث هل تدوم المرأة فيه سبب نفع عظيم لها وللرجل فيسمى القرن بقرن المرأة كما سمي القرن الذي تقدمه بقرن البخار والفحم والحديد وسائر المنافع ام هي تنعكس على طول تماديها في الحرية حتى ترد الدنيا الى سابق عهدها فيكون ضرر الحرية لها موازياً لضرر الجهل منها

فلقد قال البعض ان القرن الحاضر سيكون مدة موفورة السعادة تامة

الاقبال والخير وتكون المرأة السبب الوحيد في كل مايتم وذلك ليس لانها تستزيد العلم والتجربة او تتمادى في الانطلاق والحرية بل لانها تزداد صبراً واقداماً وعراكا للامور فتصبح بعد ان كانت لاتملك الا الرقة المحضة والجبن الصرف وهي مستعيرة اقدام الرجل وشجاعته وان الرجل اذا كان باقدامه وحده دون استعانة باقدام جنس غريب عنه قد توصل الى ما توصل اليه من امتداد العقل واتساع المدنية فكم يكون فعله وقداعانته المرأة بهذا الخلق دون ان تفقد شيئاً من خلائقها الانثوية الغريزية

وقال البعض بل انها قد تكون على ضد ذلك يزيدها فرط المدنية فتوراً ويورثها ادلالها على الرجل مللاً وتكسبها كثرة الحرية زهواً وخيلاء ثم تحاول زيادة الادلال المألوف فلا تجد لها من سلاح غير التحسن والتزين وهو سلاح يقتل حامله ويوهي منكب المحارب به وان ذلك قد لايمنع المرأة ان تكون عليمة خبيرة ولكنها تكون عالمة عاجزة عن مباشرة علمها بالعمل وعلى هذا فان الدنيا سترينا في القرن العشرين امرأة زائدة مزية من مزايا اقتدار الانثى العقلي ولكنها تكون امرأة ناقصة مزية من مزايا الاقتدار البدني فهي بذلك ستكون خلقة غريبة من حيث كبر دماغها وغريبة ايضاً من حيث ضعف بنيتها ورقة بدنها

وقال غيره بل ان المرأة ستدوم الى الابد امرأة كما هي لا تزيد ولا تنقص بشيء لان الطبع الغريزي لا يفارقها والاخلاق الانثوية لا تزايلها فهي اذا نقصت في شيء وزادت في شيء فانما يكون ذلك حادثاً عرضياً لا يعتد به ولا تكون منه نتيجة تذكر بل انه اذا كان ثم من تغيير يلم بها فهذا يكون بانها تزداد جمالاً وانتساق اعضاء وملاحة وذلك لان فرط المدنية والحرية

قد اولع الناس بالجمال وصيرهم مبالغين في ايثاره والمنافسة به وهو شأن يدعو بالتدريج الى زيادة الحسن الانثوي وهذا كل الذي قد يكون من التغيير

ولقد قال كثيرون غير هؤلاء اقوالاً لا مكان لها هنا ولكن اكثرها يشير الى شيء من التغيير سيصيب المرأة على التوالي اذا دامت سائرة في سبيلها هذا وان القرن العشرين سيكون قرناً مذكورة فيه المرأة بالتخصيص والتعيين. وهذا القول وما تقدمه لا يخلو من سداد حين يقاس الى الاحوال الحاضرة. ولكننا نجري في رأينا على قول الذي قال ان المرأة ستبقى امرأة الى الابد لاتغير تغيراً يذكر وانما نعتبر ذلك ليس من جهة المرأة وحدها وتوليها نفسها بنفسها بل من جهة ان الرجل سيكون القيم عليها في كل حال وان المرجع الاخير سيكون قوة البدن وليس قوة الرأي والعقل ولما كان الرجل هو الذي غير المرأة في صدر هذا القرن واوصلها الى هذه الحال فهو الذي يرجعها الى الحيز الذي تحسن معه الحال ويصح به الاجتماع والعمران. ذلك اذا كان التغير الذي يصيبها داعياً الى الضرر العمومي من جهة القياس الى الزمن الذي يحدث به التغيير واما اذا لم يكن من ضرر على موجب ذلك القياس فانها تدوم فاعلة كل ما تشاء الى حد لا نتصوره الان ولكن كل ذلك لا يمكن ان يكون خارجاً عن حد الطبيعة المألوف المقبول لان الصناعة مهما بلغت فلا يمكن ان تعارض الطبيعة حتى تغير مجراها الوضعي اما التغيير العرضي الذي سيكون بالقرن العشرين فانه سيصيب كل بلادنا وسائر الاصقاع الشرقية حتى الافريقية ولا يبعد على الناشئين منا ان يروا نساءهم في اواسط هذا القرن وهن راكبات المدراجات ممثلات في الملاعب والمجتمعات ولكنهن مع ذلك يكن عالمات نبيهات جاريات على نسق من

الطبيعة مقبول وشريعة من الاجتماع محدودة فليستعد للقاء ذلك ابناؤنا وبناتنا فانهم حين يصيرون اليه لا يكون منه بأس ولا ضير وقد رأينا حسن النتيجة في غيرنا فلتكن لنا اسوة بالغير

الشعر العصري

١٠

المقدمة

ويحسن بنا بعد الذي ذكرنا من اخبار عمر رضي الله عنه ان نورد ابياتاً في رثائه رواها بعضهم لمزرّد بن ضرار وانشدها ابو تمام للشماخ مع زيادة بيت عليها نسبه بعضهم الى الجن وهو

أبعد قتيل بالمدينة اظلمت ... له الارض يهتز العضاه بأسوق

اما الابيات فهي

عليك السلام من امام وبارکت ... يد الله في ذاك الاديم الممزق

قضيت اموراً ثم غادرت بعدها ... نوافج في اكمامها لم تفتق

وما كنت اخشى ان تكون وفاته ... بكف سبنتى ازرق العين مطرق

وكان ابن عباس رحمه الله على ماترى من شرف قدره في الدين يروي الشعر ويقوله ويطارح الشعراء وينازعهم نشيده دخل عليه عمر ابن ابي ربيعة الشاعر القرشي المشهور وهو يومئذٍ غلام وعنده نافع بن الازرق فقال له ابن عباس انشدنا شيئاً من شعرك يا ابن اخي فانشده قصيدته التي يقول في اولها

امن آل نعم انت غاد فمبكر ... غداة غد ام رائح فمهجر

حتى اتمها وهي ثمانون بيتاً فقال ابن الازرق لله انت يا ابن عباس نضرب اليك اكباد الابل نسألك عن الدين ويأتيك غلام من قريش ينشدك سفهاً فتسمعه فقال تالله ماسمعت سفهاً فقال اما انشدك

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت ... فيخزى واما بالعشي فيخسر

فقال ماهكذا وانما قال

— (فيضحي واما بالعشي فيخصر)

وهذا دفعٌ حسن وردٌّ جميل وبعد البيت

اخا سفر جواب ارض تقاذفت ... به فلوات فهو اشعث اغبر

قليلاً على ظهر المطية ظله ... سوى مانفى عنه الرداء المحبر

واعجبها من عيشها ظل غرفة ... وريان ملتف الحدائق اخضر

ووال كفاها كل شيء يهمها ... فليست لشيء آخر الليل تسهر

ومنها

فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويالك من ماهي هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمجّ ذكي المسك منها مقبل ... نقي الثنايا ذو غروب مؤشر

تراه اذا تفترّ عنه كأنه ... حصى بردٍ او الحوان منور

وترنو بعينيها اليّ كما رنا ... الى ظبية وسط الخميلة جؤذر

وهي قصيدة جيدة نكتفي منها بهذا القدر ولابن ربيعة هذا شعر يخالط اجزاء القلوب ويتغلغل في اهواء النفوس سنأتي على طائفة منه في غير هذا الموضع مما ضمنه بعض الوقائع باجمل اسلوب واحسن نموذج. فلنعد الى